فالذى لديه بعض المعرفة، يظن نفسه أوتى العلم كله ! وهو فى الوقت نفسه لا يدرى جلال ما غاب عنه، ولم يحط به علما . .

وفى الأقطار المتخلفة تكون المناصب الرئاسية متنفسا مريحا للكبر والاختيال . . ويستطيع المرضى بجنون العظمة، أن يشمخوا بأنوفهم، وأن يحرجوا غيرهم ! أما فى المجتمعات المتمتعة بالصحة النفسية فهيهات أن يقع هذا العوج، إذ عواقب الغرور سيئة كما قال القائل :

إذا الملك الجبّار صعّر خده مشينا إليه بالسيوف نعاتبه !

وفى الإسلام حرب موصولة ضد الاختيال والاستكبار. قال رسول الله ﷺ : **«إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغى أحد على أحد»**(١) .

وغزارة المعرفة ونفاسة المواهب وجلالة الشيم ينبغى أن تستر برداء العبودية لله، والإحساس بفضله الأعلى فهو الواهب لكل جميل، وهو ولى الحمد والمنة، وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال : « **من تواضع لله درجة، يرفعه الله درجة، حتى يجعله الله فى أعلى عليين، ومن تكبر على الله درجة، يضعه الله درجة، حتى يجعله فى أسفل سافلين !** » .

زاد فى رواية « **ولو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء، ليس عليها باب ولا كوّة، لخرج ما غيبه للناس كائنا ما كان** »(٢) ! ويظهر أن فى الأعمال الصالحة مهما كُتمت طبيعة العطور الفواحة، فهى تنم عن نفسها مهما أخفيت. والشمائل الشريفة وإن لم يتحدث عنها صاحبها تحدثت عنه اليوم أو غدا، وبقدر تواضعه بها يكون ارتفاعها به، وقريب من ذلك قول الشاعر :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومن اللطائف الداعية للابتسام، أن يكون الشخص قليلا فى مخبره ومنظره، ثم هو متكبر !

---

(١) مسلم جـ ٤ ص ٢١٩٨ الجنة / الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(٢) رواه ابن ماجة وابن حبان فى صحيحه وليس عند ابن ماجة : ولو أن أحدكم . . . إلخ . نقلا عن الترغيب والترهيب جـ ٣ ص ٥٦٠ .